رؤية مالك بن نبي لمشكلة المرأة

إعداد الأستاذ: عمار قاسمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحديد معالم رؤية مالك بن نبي للمرأة، وموقع مشكلتها ضمن مشكلات الحضارة، فقد انطلق من الفضاء الفكري لعصره، إلى رحاب الثقافة الإسلامية. انطلق يؤسس رؤية إسلامية من الوضع الحضاري، ومن خلاله وضع المرأة.

وما يميز هذه الرؤية هو نقده للجوانب السلبية، في الوقت الذي ثبت فيه الجوانب الإيجابية، التي تحولت إلى منارات تنير الدرب الحضاري، وأسهمت في تكوين رؤية للفلسفة النسوية، ومن ثم رسمت معالم مشروع للنهوض بالأمة الإسلامية الأصيلة. مما يدفع البحث إلى الانفتاح على مختلف التطورات والتحولات الراهنة وعدم الجمود عند تلك النقطة التي وصل إليها مالك بن نبي.

Malek Ben Nabi's view about the problem of Woman

A summary

This research aims at showing the features of how malek Ben Nabi deals with the question of Woman. And its position among the other topics related to civilization. He departed from the cultural scope of his era towards the Islamic one. He established an islamic view on the modern status and thus on the woman status

What distinguishes this view is its criticism of the negative sides and at the same time its fixation of the positive ones which changed to lights that enlighten the modern path .It also contributed in forming an idea about the female philosophy and therefore drew the criteria of a project designed to develop the authentic Islamic nation. This makes this research to seek opening on the various improveements and actual tansformations and the non stagnancy at a the point where Ibn Malek arrived.

مقدمة

في ظل الهجمات الشرسة التي تستهدف الإنسان في هويته وقيمه أصبح من الضروري النظر في واقع المرأة وإعادة تحديد مكانتها الحضارية ودورها الاجتماعي، لأن واقعها أصبح مزريا فعلا، هذا الواقع الذي صنعته عوامل خارجية نابعة من تلك الهجمات الثقافية. وعوامل داخلية ترجع إلى المرأة ذاتها، تنبع من عدم وعيها حين تركت دينها وقيمها وعقلها في تحديد طريقها وصيانة كرامتها وشخصيتها وحفظ حقوقها، فهي تتحمل قدرا كبيرا من الواقع الذي ترزح تحت وطأته.

إن الحديث عن المرأة في هذا الظرف بالذات يعتبر حسما تاريخيا فاعلا، وتحولا معتبرا لدراسة القضايا الحيوية على الصعيدين الإقليمي والعالمي، لأن الحضارة أساسها المجتمع، والأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع، هذه الخلية التي لا تحيى إلا بحياة المرأة التي تم إنباتها إنباتا حسنا.

ولأن النزعة الغالبة في الاتجاهات الفكرية والمعرفية، التي جاءت بها الحضارة الغربية في مختلف أطوارها، هي نزعة مادية تحولت إلى صيحة ضخمة ذات دوي شديد في العالم كله، انعكس صداها على المرأة، فالمرأة من جهة كونها إنسانا، كانت ضحية من ضحايا هذا الاضطراب الاجتماعي، الذي ساد المجتمع العالمي والغربي على وجه الخصوص، فأصبح الهدف ليس تحرير المرأة وفك قيودها، بل إخراجها من فطرتها التي جبلت عليها. فالحضارة الغربية استطاعت أن تحقق السيطرة على الطبيعة، لكنها فقدت السيطرة على الذات.

"ليست مشكلة المرأة شيئا نبحثه منفردا عن مشكلة الرجل، فهما يشكلان في حقيقتهما مشكلة واحدة، هي مشكلة الفرد في المجتمع"، هذا ما قاله مالك بن نبي حين أراد أن يموقع مشكلة المرأة ضمن مشكلات الحضارة. بعد التجربة المزدوجة التي عاشها، والتي جعلته يطالع هموم المرأة العربية والغربية على السواء. فلقد حدثت الكثير من التطورات التي أدت إلى تحولات عميقة وعمقية في المجتمعين الإسلامي والغربي، انعكست على الحركة النسوية. فمشكلات المرأة الغربية وتطلعاتها داخلية نابعة من ظروف وتطور المجتمع الغربي، في حين أن مشكلات المرأة المسلمة وتطلعاتها خارجية نابعة من الظروف الخارجية التي أحاطت بالأمة الإسلامية، فهناك اختلافا كبيرا بين وضع المرأتين.

يهدف هذا البحث إلى تحديد معالم رؤية مالك بن نبي للمرأة، وموقع مشكلتها ضمن مشكلات الحضارة من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: ضبط المفاهيم المفتاحية للبحث.

المبحث الثاني: البعد النفسي لمشكلة المرأة وانعكاساتها على حركة الحضارة والتاريخ.

المبحث الثالث: معالم الرؤية الإسلامية لموقع المرأة في ترصيص القواعد الثقافية للبنية الحضارية.

المبحث الأول: ضبط المفاهيم المفتاحية

1-مفهوم الرؤية

أ-في القرآن الكريم: يعرض القرآن الكريم عدة معان للرؤية منها الرؤيا بمعنى الحلم، والرؤية البصرية بمعنى النظر، والرؤية القلبية التي تحدث بالبصيرة، والرؤية الاعتقادية التي تستند إلى مرجعية معينة. يهمنا منها المعاني الثلاثة الأخيرة:

المعنى الأول: الرؤية العينية: وهي الرؤية التي تحدث بالعين المجردة، مثل التي أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام، لما جاء لميقاته وحصل له التكليم منه وسأله أن ينظر إليه قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تراني﴾** (الأعراف: 143)[1].

المعنى الثاني: الرؤية القلبية: وهذه الرؤية تكون بالعين والقلب معا، وهي رؤية علمية قال الله سبحانه وتعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾**[2].

المعنى الثالث: الرؤية الاعتقادية: وهي الرؤية التي تستند إلى مرجعية معية، سواء كانت سماوية أو وضعية، ومن السماوية قوله عزّ وجلّ: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾** (النساء: 105)[3].

ومن الرؤية الوضعية أن يتبنى شخص رؤية فيلسوف أو مذهب أو إيديولوجيا، ويتخذها مرجعية في كل تفسيراته وآرائه.

ب- مفهوم الرؤية في اللغة العربية: ((من رأى، فيقال أَنا أَرَأُهُ والأَصل أَرْآهُ، حذفوا الهمزة وأَلْقُوا حَرَكَتَها على ما قبلَها (...)، فقالوا: يَرَى ونَرَى وتَرَى كما قالوا أَرَى، كقولك يرعى رَعْياً حَسَناً))[4]، وهي التي تتم بالعين المجردة، وتكون على مستوى الجهاز العصبي دون حصول معرفة علمية، ويمكن تسميتها بالرؤية الحسية.

ج- مفهوم الرؤية في الاصطلاح: أما اصطلاحا فهي لا تخرج عن المفاهيم السابقة، والتي تدور حول الرؤية بالعين حين توجهها المعتقدات التي يؤمن بها الشخص، فيرى بمنظار ما يتبناه من أفكار وما يؤمن به من معتقدات، حيث تنعكس هذه المرجعية على تحليلاته وتفسيراته، ويمكن الجزم منذ الآن أنه لا توجد رؤية حسية مجردة تماما من المعتقدات التي يتبناها الشخص، وما يسمى بالرؤية العلمية الموضوعية هو محض تلاعب واستغفال، فإذا فقد المسلم رؤيته التوحيدية، طغت عليه الرؤى الاعتقادية للآخر، قال عبد الحليم عويس: ((لأننا إذا افتقدنا المعيارية واهتز عندنا مركز الرؤية و لم نحقق الإطار المرجعي لمعرفة الوحي، وجاء هذا السيل الجارف والزبد الطامي

1- راجع:- أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج2، ط3، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م مصدر سابق، ص246-247.

2- راجع:- ابن منظور: لسان العرب المحيط، دون ط، المجلد الأول من أ إلى ر، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرغشلي، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د ت ، كلمة "رأى".

3- المرجع السابق.

4- نفسه.

من الأخر في تحليل ودراسة رموزنا العلمية والثقافية من خلال رؤيته الحضارية، وأنظمته المعرفية أمكنه استلابنا والتحكم الثقافي فينا خاصة وان شعب المعرفة في العلوم الاجتماعية والإنسانية قد تطورت عنده تطورا مذهلا، وأصبح معها قادرا على هضم كل الثقافات والأفكار والتقوي بها، وإعادة إنتاجها وتصديرها، حاملة أهدافه وقسماته الحضارية والثقافية..إنه يدخل علينا من الأبواب جميعا خاصة وان شعب المعرفة في هذه العلوم لم تمتد بالشكل المناسب في الواقع الإسلامي المعاصر، بل نستطيع القول أنها توقفت منذ زمن بعيد، وأحدثت فراغا مذهلا، وعجزا وتخاذلا تمدد من خلاله الآخر))[1].

ومن المفهوم اللغوي والاستعمالات الاصطلاحية يتبين أن الرؤية ثلاثة أنواع، رؤية بالعين، يمكن أن نصطلح عليها الرؤية الوضعية، ورؤية بالعين والقلب معا، يمكن أن نسميها الرؤية المعرفية التوحيدية، انطلاقا من أن مصدر المعرفة عند الوضعين هو الحواس، بينما مصدر المعرفة عندنا هو القلب والعقل والحواس مجتمعة. ورؤية ثالثة تم ضبط مفهومها هي الرؤية الاعتقادية.

2- مفهوم المشكلة

أ-في اللغة العربية: المشكلة مشتقة من الجذر "أَشكَل"، قال ابن منظور: ((وهذا شيء أشكل، ومنه قيل للأمر المشتبه: مُشْكِل، وأشكل عليَّ الأمر، إذا اختلط، وأشكلت عليَّ الأخبار وأحْكَلَت بمعنى واحد))[2]. وفي المعجم الوجيز: ((أشكل الأمر: التبس... واستشكل الأمر: التبس... والإشكال: الأمر الذي يوجب التباسا في الفهم، وإشكال التنفيذ)) وف" المعجم الوجيز": أشكل الأمر: التبس... واستشكل الأمر: التبس... والإشكال: الأمر الذي يُوجِب التباسًا في الفهم، وإشكال التنفيذ))[3].

ب- في الإنجليزية: "بروبلم problem"، وهي من شَكَل الأمر شكولاً، بمعنى التبس، والمشكلة أو المُشكل هي: ((مجموعة من الأحداث المتشابكة والمتداخلة يحيطها الغموض، تواجه الفرد أو الجماعة، ويصعب حلها، قبل معرفة عواملها وتحليلها من أجل التوصل إلى قرار بشأنها))[4].

ج- يعرفها مراد وهبة: ((يطلق هذا المصطلح "المشكلة" على أي سؤال مطروح في المجال النظري أو في المجال العملي))[5] وهو تعريف أخذ كما هو من موسوعة "لالاند".

د- عند الأصوليين: المشكلة اسم للفظ يشتبه المقصود منه بدخوله في إشكاله على وجه لا يعرف المراد منه إلا بدليل يتميز به من بين سائر الأشكال، كذا قال شمس الأئمة. ويقرب منه ما قيل المُشكل ما لا ينال المراد

1- عبد الحليم عويس: التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، كتاب الأمة، العدد 50 ذو القعدة 1416 هـ السنة الخامسة عشر، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1996م، ص24،25.

2- ابن منظور: لسان العرب المحيط، دون ط، المجلد الأول من أ إلى ر، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرغشلي، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د ت ، كلمة "أشكل".

3- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، دط، وزارة التربية والتعليم بمصر، القاهرة، 1994م، ص30.

4-مصلح الصالح: الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي عربي، ط1، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، ص417.

5- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دط، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م، ص597.

منه إلا بالتأمل بعد الطلب لدخوله في أشكاله. ومعنى التأمل والطلب أن ينظر أولا في مفهوم اللفظ، ثم يتأمل في استخراج المراد، كما إذا نظرنا في كلمة ﴿أنى﴾ الواقعة في قوله تعالى: ﴿**نسآؤكم حرث لكم فَأتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُم**﴾ (البقرة، الآية 223) فوجدناها مشتركة بين معنيين، بمعنى: أين، وبمعنى: كيف، فهذا هو الطلب. ثم تأملنا فوجدنا بمعنى كيف في هذا المقام لقرينه الحرث، فخرج الخفي والمجمل والمتشابه إذ في الخفي يحصل المراد بمجرد الطلب، وفي المجمل يحصل بالطلب والتأمل والاستفسار، وفي المتشابه لا يحصل المراد أصلا. قال القاضي الإمام: هو الذي أشكل على السامع طريق الوصول إلى المعنى لدقته في نفسه لا بعارض فكان حفاؤه فوق الذي كان بعارض حتى كاد المشكل يلتحق بالمجمل، وكثير من العلماء لا يهتدون إلى الفرق بينهما أي بين المشكل والمجمل. **وبالجملة فالمشكل لفظ خفي المقصود منه بنفس ذلك اللفظ خفاءَ يدرك بالعقل**[1].

هـ- في علم الاجتماع: المشكلة هي: ((موضوع اجتماعي من المسائل العامة، التي لا توافق عليها الشريحة السائدة في المجتمع، وتمثل مشكلة تطلب تدخل المجتمع))[2].

ومن هذه المفاهيم يمكن استخلاص ما يلي:

المشكلة تؤكد تركيبية الظواهر وتشابك عناصرها.

تؤكد ذاتية الإدراك لأن الالتباس يحدث للإنسان ولا يحدث للشيء المُدرَك.

أنها قد تواجه الفرد أو الأمة على مستويات مختلفة.

تحتاج إلى تفهم وتحليل ومعالجة، فحين يواجه الإنسان ظاهرة تتميز بقدر من التشابك والالتباس يضطر لصياغة الإشكالية، من خلال طرح مجموعة من الأسئلة يتصور أنها ستمكنه من تحليلها وفهمها.

لحل المشكلة لابد من استخدام وسائل مختلفة، وكذا لابد من العمل الجماعي حتى لا يكون الحل أحادي الجانب.

وقد استخدم مالك بن نبي مصطلح "مشكلات الحضارة" للاعتبارات السابق ذكرها من جهة، ولأن الحضارة لها ثلاث عناصر الإنسان والوقت والتراب، وكل عنصر يعتبر مشكلة. والجمع مشكلات.

3- مفهوم المرأة

أ-في القرآن الكريم: وردت كلمة امرأة في القرآن الكريم بمعنيين

الأول: المرأة هي الزوجة، حين تكون علاقة المودة بين الزوجين ضعيفة، أو تكون على غير الأسس التي وضعها الله سبحانه وتعالى، كأن تكون العلاقة بين كافرين أو مسلم وكافر، أو غير متوافقين، فإذا تعطلت الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة، بخيانة كقوله تعالى: ﴿**امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا**﴾ (التحريم، الآية 10)، وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾ (يوسف، الآية 30)، أو بتباين في العقيدة كالذي بين فرعون وامرأته، أو بعقم كقوله تعالى:

1- محمد علي الفاروقي التهانوي: كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، ط1، تح علي دحروج، ج1 من أ إلى ش، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م، ص1551.

2- مصلح الصالح: المصدر السابق.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (مريم، الآية5) أو ترمل أو نشوز دائم كقوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ (النساء، الآية 128)، أو بعدم توافق كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف، الآية 21)، يستعمل القرآن الكريم كلمة امرأة ولا يستخدم كلمة زوجة، فلفظ الزوجة يطلق على الأنثى إذا تزوجت وكانت العلاقة الزوجية تامة وكاملة، وكان التوافق والانسجام والاقتران تاما بينهما، دون اختلاف ديني أو جنسي أو نفسي.

الثاني: المرأة هي الأنثى التي هي تابعة للرجل، سواء كانت أمه أو أخته أو بنته أو غير ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ (القصص، الآية 23)، وهنا جاء معنى الآية ما يلحق الرجل من مسؤولية اتجاه المرأة، من دون قصد للعلاقة بينهما.

أما كلمة نسوة أو نساء فهي تعبر عن الجنس، تماما مثل لفظ الأنثى.

ب- في اللغة العربية: لكلمة امرأة في العربية معنيان:

الأول: المرأة بمعنى علو الهمة وارتفاع الشأن.

الثاني: المرأة من المروءة التي هي مرتبة أخلاقية.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: ((والأَمِرة: البَرَكة وامرأة أَمِرةٌ أي مباركة على زوجها وأَمِرَ الشيء أي كَثُرَ.

والإِمَّرة: الأُنثى من الحُمْلان والإِمَّرُ الضعيف من الرجال قال امرؤ القيس، وأَمِرَ وَلَدَها أي كَثُرَ ما في بَطْنها وأَمِرَ بنو فلان أمارة أي كثروا وكَثُرَت نَعَمُهم.

مرء: المَريء: رأس المَعِدَة والكَرِش اللاّزق بالحُلْقوم وهو مجرى الشراب والطعام وهو أحمر مستطيل جوفه أبيض ومريء الطعام أضيق من الحُلْقوم.

والمُروءة: كمال الرُّجوليّة وقد مَرُؤَ الرجل وتمرّأ إذا تكلّف المُروءة وهو مريءٌ بيِّنُ المروءة ومَرُؤَ الطعام وهو مريء بيِّنُ المَراءة ويقال ما كان الطعام مريئاً وقد مَرُؤَ مَراءة واستمرأ وهذا الشيء يُمْرِئني الطعام.

والمرأة: تأنيث المَرْء))[1].

المبحث الثاني: البعد النفسي لمشكلة المرأة.

1-موقع المرأة في الحضارة قبل ظهور الإسلام: كانت المرأة في أغلب الحضارات البائدة، تحتل مكانة ذليلة مهينة لكرامتها، بل يمكن القول أنها لا تحتل مكانة، لأنها في أحيان كثيرة اعتبرت كالحيوان أو أدنى منه مرتبة، ففي الحضارة الصينية كانت في أدنى المراتب، لا يُسَرُّ أحد بمولدها، وكان نصيبها أحقر الأعمال،..

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دط، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، ج8، سلسلة المعاجم والفهارس، دب، دت، ص421.

أما الحضارة الهندية فكانت حضارة ذكورية، منحت مطلق السيادة للرجل على المرأة، فلا تخاطب المرأة زوجها إلا بلفظ "إلهي"، ولا تأكل إلا ما تبقى من أكله، وحرَّمت عليها شريعة "مانو" حق الحياة بعد زوجها، وخيرتها بين الانتحار، أو الاحتراق حية معه الميت في نار واحدة، ودامت هذه العقيدة حتى القرن السابع الميلادي. أما حمرابي في الحضارة البابلية فقد اعتبر المرأة كالماشية، ومن قتل بنتا عليه أن يُسَلِّم بنته للقتل، أو للملكية إذا عُفَي عنها. أما طريقة الرومان فتتمثل في مباشرة المرأة من طرف الرجل سنة كاملة دون خروجها من المنزل، لتتحول إلى ملكية مطلقة، لا تختلف عن ملكية السلع والعقار، فتصبح سيادة الرجل مطلقة عليها. أما عند الفرس فكان وضع المرأة أسوء حالا من الحضارات السابقة، فلا تُرَاعى الأنساب في الزواج، إذ يجوز للفارسي أن يتزوج أمه أو أخته أو أية امرأة دون قيد أو شرط، ثم تسجن في بيت زوجها أو أهلها بشكل مؤبد. ولا يختلف حال المرأة في أغلب الدول الأوروبية قبل ما سمي بالعصور الوسطى، عن الحال الذي عرضناه.

غير أن الحال تغير بعد أن انتقل التراث الإسلامي الأصيل إلى أوروبا عن طريق المراكز الثقافية الإسلامية الكبرى (طليطلة والقسطنطينية)، إذ من خلاله حصلت ثورات من داخل الكنيسة ذاتها، في الفترة الممتدة من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر، مما أفرز عصرا جديدا أطلق عليه عصر النهضة، وكانت هذه الثورات رغم ما قيل عنها، تهدف إلى تغيير الأسس الفكرية التي نظرت بها الكنيسة إلى الدين المسيحي، وتصرفت من خلالها بشكل خاطئ، لذلك ظهرت محاولات الإصلاح الديني، التي من خلالها أدرك رجال الدين والعلماء والمفكرون والفلاسفة أنهم أمام مستويين من الانحراف، السلوك الكنسي والأسس الفكرية المستمدة من أرسطو، فحاولوا تنقية الدين المسيحي من الشوائب الأرسطية، حتى ينعكس ذلك على الجانب السلوكي، إلا أن هذا الإصلاح انحرف عن مبادئه الداعية إلى العودة بالمسيحية إلى براءتها الأولى، وتحول إلى حركات ومذاهب فلسفية مجردة، كما كان في الأصل اليوناني، وأنتج إمبراطورية مشابهة للإمبراطورية الرومانية القائمة على التوسع والاحتلال، فهي أول من وضعت هذه الفكرة في سجل التاريخ[1]. ومن القضايا التي تمت معالجتها قضية المرأة، يقول مالك بن نبي رحمه الله: ((إن أوروبا تدين للمجتمع الإسلامي بالثقافة التي انتشرت فيها في العصور الوسطى، ونشرت في أرجائها تلك الفكرة التي تجعل تقدير المرأة من تقاليد الفروسية))[2]. غير أن هذا الوضع لم يدم طويلا، وانحرف عن مساره الصحيح، بالتهور في تحرير المرأة والمغالاة في تقديسها، بل تحويلها إلى فارس يحتل مكان الرجل، وتحويل الرجل إلى مخنث يحتل مكان المرأة، فلا الرجل بقي رجلا ولا المرأة بقيت امرأة. مما أفرز تيار مناقض يدعو إلى العودة بالمرأة إلى حالتها الأولى بحبسها في البيت، غير أن كلا التيارين لا يخلو في حقيقته من دوافع نفسية. يقول مالك بن نبي: ((ولسنا نرى في الأقاويل التي تقولها على حقوق المرأة أدعياء تحريرها، أو الذين يطالبون بإبعادها من المجتمع، إلا تعبيرا عن نزعات جنسية لا شعورية.

ولتوضيح هذه الحقيقة، يجدر بنا أن ننظر إلى الدوافع النفسية العميقة التي تدفع كلا الطرفين إلى القول بآرائه، وحينئذ لن يصعب علينا معرفة هذه الدوافع على حقيقتها، وأنها جميعا تصدر عن شيء واحد هو: دافع

1- مالك بن نبي: شروط النهضة، دط، دار الفكر، دمشق، 2009م، ص148.

2- مالك بن نبي: في مهب المعركة، إعادة تصوير ط3 (1981م)، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص100.

الغريزة الجنسية طبقا لتحليل فرويد. فهذه النقطة كانت مبدأ الانطلاق لكلا الفريقين، غير أنهما سارا بعد ذلك في طريقين مختلفين))[1].

2- الدوافع النفسية وراء موقف تحرير المرأة: يرى مالك بن نبي أن الدوافع النفسية لأصحاب التيار الذي يدعو إلى تحرير المرأة وإخراجها في زينة فاتنة، هي دوافع ظاهرة يمكن التعرف عليها بسهولة، ((إذ في ذلك ما يوقظ غرائزهم، أو يرضي شهواتهم))، وقد كشف عن هذا البعد (ريتري تيلور) في كتابه "الجنس في التاريخ"، الذي استدل به مالك بن نبي، والذي يرى أنه فتح هكذا بابا جديدا في علم الاجتماع ينظر إلى الأمور من زاوية "فرويدية" "الليبيدو"، فمن هذه الزاوية ينطلق المؤلف من احتمالين، يكتشفهما التحليل النفسي في الإنسان ويترجمهما صاحب الكتاب بهذه العبارة: ((إنه يوجد في الإنسان نزعة إيروس Eros، وهو حب وقدرة خلاقة، ويوجد فيه أيضا نزعة تناتوس Thanatos، وهو حقد وقدرة تحطيم من ناحية، وقدرة مراقبة وتنظيم من ناحية أخرى))[2].

وبقدر ما تكون النزعة الأولى هي المسيطرة، يأخذ المجتمع طابع الأمومة بما في ذلك من عبقرية الأنثى، وتظهر هذه الصفات في نظام الأسرة حيث تكون السلطة للأم، بل أن هذه الصفات هي التي تحدد صورة الحضارة ومسار حركة التاريخ، لأن الأنثى تعني الخصوبة والتغير السريع.

غير أن مالك بن نبي لاحظ أن هذا الكاتب لم يُكْمِل التحليل استنادا إلى سنة الدورة الحضارية يقول مالك بن نبي: ((إنني لا أعتقد أن الكاتب الانجليزي واصل التحليل إلى نهاية دور حضاري كامل، لأنه يفتقد هذا المفهوم ذاته، حيث أن الثقافة الغربية في دراستها تاريخ الحضارات لا تقف عند مفهوم "الدور الحضاري". أما إذا واصلنا نحن التحليل، فإننا سنرى الحضارة التي تطبعها عبقرية الأنثى ستنتهي عندما تصبح المرأة فارسة، ويصبح فيها الرجل مخنثا، وهي حضارة تنتهي إلى فجور وميوعة وانحلال))[3].

فأين نضع رؤية مجتمعاتنا الإسلامية بالنسبة لهذا التحليل؟.

3- الدوافع النفسية وراء موقف تقييد المرأة: يبدو للوهلة الأولى أنه لا توجد دوافع نفسية جنسية وراء موقف الداعين إلى إبعاد المرأة عن المجتمع، وإبقائها في سجنها التقليدي، بيد أن التحليل يؤكد أن ليس لتفكيرهم مبرر منطقي إلى ما يتعللون به من الرجولة والحفاظ على الأخلاق، الذي يختفي وراءه مغزى التمسك بالأنثى، ((فالغريزة هنا تكلمت بلسان آخر)). يقول مالك بن نبي: ((ولقد يكون كلام الغريزة واضحا في رأي من يريد المرأة في صورة تلفت إليها الغرائز، أما من يرى أن تخرج في هيئة يقبلها الخلق، فإن من العسير أن نرى دور الغريزة في مثل ذلك التفكير، ولكن قد يكون في منعها من الخروج مبرر خفي، مما يستقر في نفس الرجل من دافع جنسي من الخوف على أنثاه أن يشاركه فيها غيره، وإذن فهو يدافع عن أنثاه، وهنا يظهر جليا ذلك الاعتبار الجنسي في

1- مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص123.

2- مالك بن نبي: في مهب المعركة، مصدر سابق، ص97، 98.

3- نفسه، ص98.

تفكيره))[1]. وهذا النص ينقلنا إلى تحليل "تيلور"، فالذكر يعني القوة والاستمرار والمبدأ الأخلاقي والتصوف، وإذا واصلنا التحليل مع مالك بن نبي، نجد أن الحضارة التي تطبعها عبقرية الرجل تنتهي إلى القسوة والجفاف والعقم والتحجر، ووجد مالك مبرره في المجتمع الجاهلي، الذي كان تحت سلطة الذكر، والذي كان فيه ما فيه من قسوة وتحطيم حتى أن المولودة كانت توأد دون ذنب اقترفته.

المبحث الثالث: معالم الرؤية الإسلامية لموقع المرأة في مشكلات الحضارة.

1-الحل الاجتماعي لمشكلة المرأة: يرى مالك بن نبي أن مشكلة المرأة يجب أن تصفى أولا من النزعات الشاذة، النزعة التي تحرر المرأة دون قيد، والنزعة التي تقيدها دون حرية، انطلاقا من دوافع غريزية جنسية في أساسها، ثم تحل حلا يكون الاعتبار الأول فيه لمصلحة المجتمع، فالمرأة والرجل يشكلان الفرد داخل المجتمع، فالمرأة تمثل نصف الفرد، والرجل نصفه الآخر. فحين جاء الإسلام أكبت في الرجل دوافع القسوة والجفاء والتحطيم، ووضع المرأة في مكانتها المنوطة بها، فتوازن المجتمع وانطلق التاريخ في الحركة، يقول مالك بن نبي: ((وحين جاء الإسلام أكبت في الذكر دوافع الجفاء والتحطيم، و لم يترك له إلا قدرة التغلب على النفس، وقدرة التنظيم والتوجيه، فكون بذلك مجتمعا تتمتع فيه المرأة بكثير من الحقوق، مقابل بعض الواجبات ... وقد تتصور أن هذه التسهيلات، التي يقررها الفقه الإسلامي للمرأة غير معمول بها من الوجهة الواقعية، لأنها ربما تبالغ في تحرير المرأة من أسر الحياة المترلية، ولكن هذه المبالغة من الناحية النظرية، تلفت نظرنا للحالة الحقيقية التي تقع فيها المرأة المسلمة اليوم من حيث الأعباء المترلية، تقع فيها أو تعود عليها بنكسة المجتمع الإسلامي، إذ يبدو أن هذا المجتمع، بقدر ما فقد خصوبته وقوته في التنظيم، قد عاد إلى الحالة التي كان عليها المجتمع الجاهلي من حيث الشدة والعقم))[2].

فقد عثر مالك بن نبي على معلمين أكدا له وحدة الرجل والمرأة، وعدم انفصال مشكلتهما؛

المعلم الأول: استنبطه من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ (النساء، الآية1). يقول تعالى آمرا خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام ﴿وخلق منها زوجها﴾ وهي حواء عليه السلام، خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه، وقال ابن أبي حاتم: خلقت المرأة من الرجل فجعل نهمتها (شغفها) في الرجل، وخلق الرجل من الأرض فجعل نهمته في الأرض[3]. فالرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة، ربهما واحد، وعقيدتهما واحدة، وهدفهما واحد.

1- مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص115.

2- مالك بن نبي: في مهب المعركة، م س، ص99.

3- أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ط3، ج1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م، ص438.

المعلم الثاني: استخرجه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح: ((إنما النساء شقائق الرجال))[1]، فالمرأة والرجل قطبا الإنسانية ولا معنى لأحدهما عن الآخر، فإذا كان الرجل قد نبغ في مجالات الفن والعلم والعمارة، فإن وراء كل رجل عظيم امرأة، فالمرأة الصالحة تكون نوابغ الرجال.

2- التأسيس الاجتماعي والحضاري لسؤال المرأة: أسس مالك بن نبي شروطا للنهضة الإسلامية لواقع المرأة العربية عامة والجزائرية خاصة، هذه الشروط التي تحددها طبيعة الأسئلة التي يجب أن نثيرها حول مشكلة المرأة، وطبيعة الإجابة عنها، التي ((ينبغي أن لا تكون بدافع من مصلحة المرأة وحدها، بل بدافع من حاجة المجتمع وتقدمه الحضاري، إذ ليست الغاية من البحث في إشراكها في هذا المجتمع، إلا الإفادة منها في رفع مستوى المرأة ذاتها. وإذن فليس من المفيد لنا أن ننظر إلى مشكلاتها بغير هذا المنظار))[2]. لكن ما هي الشروط التي أقترحها مالك بن نبي لتأسيس حركة نسوية جزائرية بهذه الأبعاد والأهداف؟.

لقد أشار مالك بن نبي إلى هذه الشروط في كتابه "بين الرشاد والتيه" في عنوان: "معالم على طريق الحركة النسوية في الجزائر"، حيث استند إلى شواهد من التاريخ في صدر الإسلامي وفي العصور الحديثة، نماذج مثل سمية رحمة الله عليها التي رفضت ذكر "هبل"، والكاهنة التي دفعت أبناءها إلى الإسلام، ولالا فاطمة نسومر التي نزلت من جبال جرجرة على رأس كتيبة من المجاهدين لقبوا "المسبلين" لأنهم باعوا أرواحهم في سبيل الله، ووقفت ببسالة في وجه الاحتلال، وفضيلة سعدان ((هكذا نجد الثورة قد دفعت الحركة النسائية إلى الأمام، لكنها ما تزال حركة فتية، لها من الشباب حيويته وإقدامه، لكن شبابها قد يعوقها إذا أهملنا شأنها **ولم نراقب نباتها كما ينبغي**))[3].

3- تقليد المرأة الأوروربية ليس هو السبيل لحل المشكلة: إن التحليل الثنائي الذي قدمه مالك بن نبي حول مركزية كل من الرجل والمرأة في بنية المجتمع، والذي يؤول إلى نهايتين، مجتمع مخنث تسيطر عليه المرأة ويسوده الانحلال الخلقي، ومجتمع رجولي متحجر يخلو من الحركية ويؤول إلى نوع من التجمع لا يختلف كثيرا عن التجمعات الحيوانية، قاده إلى رفض هذا التعارض في بنية المجتمع الإسلامي، وقاده ذلك إلى رفض، كما قاده إلى رفض الأنموذج الغربي للمرأة، لأن مشكلة المرأة في الغرب ناتجة عن حركة وتطور المجتمع الغربي والظروف التي عاشها، وهي ظروف تختلف عما عاشه المجتمع المسلم، يقول مالك بن نبي: ((ونحن نأسف أن يكون نساءنا بهذه الدرجة من البساطة، حين يرين مشكلتهن قد حلت بمثل هذا التقليد لنساء أوروبا، فإن مشكلة المرأة مشكلة إنسانية، يتوقف على حلها تقدم المدنية، فلا يكون حلها إذن بمجرد تقليد ظاهري لأفعال المرأة الأوروبية، دونما

1- قال أبوداود (236): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ خَالِدٍ الْخَيَّاطُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلاَ يَذْكُرُ احْتِلاَمًا قَالَ "يَغْتَسِلُ". وَعَنِ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ وَلاَ يَجِدُ الْبَلَلَ قَالَ "لاَ غُسْلَ عَلَيْهِ". فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ الْمَرْأَةُ تَرَى ذَلِكَ أَعَلَيْهَا غُسْلٌ قَالَ "نَعَمْ إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ". وأخرجه أحمد في المسند(26238)، وأبويعلى في مسنده(4694)، والترمذي في جامعه (113)، والدارقطني في سننه (481)، وابن الجارود في المنتقى (90)، والطوسي في مستخرجه (324)، والبيهقي من طريق أبي داود في السنن الكبرى (767).

2- مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص116.

3- مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، إعادة ط2، دار الفكر، دمشق، 2001م، ص65.

نظر إلى الأسس التي بَنَت عليها المرأة الأوروبية سيرها))[1]. فينبغي النظر إلى مشكلة المرأة وهي تسير منسجمة مع المشكلات الاجتماعية الأخرى، في سبيل تقدم المدنية، فلا وجود لهذه المشكلة بغير هذا الإطار.

فأية محاولة لوضع المرأة المسلمة في مركز يشبه مركز المرأة الأوروبية، وذلك بنقلها من امرأة متحجبة لها وظيفة بينة، إلى امرأة سافرة تزاحم الرجل في المصنع لن يحل المشكلة، لأن بعض البلاد الإسلامية انتهجت هذا الطريق وتبين أنه عقد المشكلة بعد أن كانت بسيطة ((فليست حالة المرأة الأوروبية بالتي تحسد عليها، فظهورها في مظهر لا يخاطب في نفس الفرد إلا غريزته أثار أخطارا جديدة، كنا نود أن يكون المجتمع بمنجاة منها، فمشكلة النسل في البلاد الأوروبية وصلت إلى حالة تدعو أحيانا إلى الرثاء، إذ أنها فقد تنظيمها الاجتماعي، بحيث جعلت المجتمع الأوروبي بعد أن محت منه معاني التقديس للعلاقات الجنسية، يعتبر هذه العلاقات تسلية للنفوس المتعطلة، وبذلك فقدت وظيفتها من حيث هي وسيلة لحفظ الأسرة وبقاء المجتمع))[2]، كان مالك بن نبي في زمانه يتحدث عن المجتمع الأوروبي، والآن يمكن القول أن ما يصدق على المجتمع الأوروبي في ذلك الزمان يصدق على مجتمعاتنا المسلمة اليوم، والذين جعلوا من أوروبا المثل الأعلى في كل حركة تجديدية هم المسئولون على هذا الوضع، فمشكلة المرأة الأوروبية خطيرة في ذلك الزمان، وهي أكثر خطرا في هذا الزمان، وهي خطيرة حتى في ذهن المرأة الأوروبية ذاتها، فكيف يمكن أن تكون قدوة لحضارة؟. وتتجلى هذه الخطورة في مظاهر حياتها. فالحل الأوروبي نتجت عنه الكثير من السلبيات، فقد دفع المرأة للعمل مثلا، وجعلها تكسب من عرق جبينها مما أدى إلى دفن الأنوثة وقتل روح العواطف فيها ((فأصبحت بما ألقي عليها من متاعب العمل صورة مشوهة للرجل، دون أن تبقى امرأة))[3].

4- علاقة لباس المرأة بحركة التاريخ وبناء الحضارة: إن نوعية اللباس تنعكس على نفسية الإنسان، فيجد راحة نفسه في اللباس الجديد والنظيف والفضفاض، ويحس بتكدرها عند لباس المتسخ والضيق أو اللباس القديم الرث. كما أن اللباس يدل على خلق الإنسان وتقواه، لهذا عنيت الشريعة الإسلامية بالملبس، فنهت عن تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال، لما يورثه اللباس من اكتساب الخلاق. يقول ابن القيم: ((خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك، ولذلك حرّم لبس جلود النمور والسباع لما تكسب القلب الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات، فإن الملابسة الظاهرة تسري إلى الباطن))[4]، ويقول في موضع آخر: ((بين الثياب والقلوب مناسبة ظاهرة وباطنه، ولذلك تدل ثياب المرء في المنام على قلبه وحاله، ويؤثر كل منهما في الآخر، ولهذا نهي عن لباس الحرير والذهب، وجلود السباع لما تؤثر في القلب من الهيئة المنافية للعبودية والخشوع،

1- المصدر السابق، ص116.

2- نفسه، ص117.

3- المصدر السابق، ص119.

4- ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، دط، ج1، تح علي حسن عبد الحميد الأثري، دار ابن الجوزي، بيروت، دت، ص52

وتأثير القلب والنفس أمرٌ خفي يعرفه أهل البصائر من نظافتها ودنسها ورائحتها وبهجتها وكسفها، حتى إن ثوب البر ليعرف من ثوب الفاجر، وليسا عليهما))[1].

وقد اعتمد مالك بن نبي هذه الفكرة ولاحظ المرأة الأوروبية في أحد مظاهرها وهي "الموضة"، فالزى الذي تختاره المرأة لنفسها دليل واضح على الدور الذي تريد تمثيله في المجتمع، وتَمثُّله فعلا، ((فقد كانت المرأة الأوروبية إلى عهد قريب تلبس لباس "الدانتلا"، تستر به مع أنوثتها سرها المكتوم حتى أخمص قدميها، وتتخذ من حيائها حاجزا يمنعها من التردي في الرذيلة، فكانت برائها هذا خير مثال للرقة والأدب في المجتمع، إذ كانت السيدة الجديرة بكل احترام. الزوجة الصالحة التي تمسح بيديها الرقيقتين عن نفس الزوج متاعب العمل.

غير أنها اليوم تلبس اللباس الفتان، المثير الذي لا يكشف عن معنى الأنوثة، بل عن عورة الأنثى، فهو يؤكد المعنى الجسدي الذي يتمسك به مجتمع ساده الغرام باللذة العاجلة))[2].

كان مالك بن نبي يرى المرأة المسلمة نقيض المرأة الأوروبية، لأنها في عصره تلبس "الملاية" فتُسرف في ستر جسدها بشكل شاذ في رأيه، معبرة عما يطبع مجتمعاتنا من الميل إلى الركود والتخلف، كما تعبر من ناحية أخرى عن رياء ونفاق متأصل في النفس، لكن تغير الوضع وأصبح المظهر العام للمرأة المسلمة لا يختلف كثيرا عن مظهر المرأة الأوروبية. فمن الواجب أن توضع المرأة في الحضارة الغربية كما في الحضارة الإسلامية في موقع بحيث تستطيع أن تؤدي دورها الاجتماعي خادمة للحضارة وملهمة للذوق الجمالي والروح الأخلاقية، ذلك الدور الذي بعثها الله فيه زوجة للرجل وأما.

5- عقد مؤتمر لحل مشكلة المرأة: يرى مالك بن نبي أنه يجب على الحركة النسوية في الجزائر والعالم الإسلامي، أن تسعى إلى عقد مؤتمر عام، لتحدد فيه مهمة المرأة بالنسبة لصالح المجتمع حتى لا تكون ضحية جهلها، وجهل الرجل بطبيعة دورها، وحتى لا تكون لقمة سائغة في يد التيارين المتطرف والمتسيب اللذين، الذي يريد أن يلغي دور المرأة، والذي يريد أن يحررها دون ضوابط. لأن مشكلة المرأة ليست تلك المشكلة البسيطة التي يمكن حلها بنظرة واحدة، يقول مالك بن نبي: ((ذلك أن لا أرى مشكلة المرأة بالشيء الذي يحله قلم كاتب مقال أو في كتاب. ولكني أرى أن هذه المشكلة متعددة الجوانب، ولها في كل ناحية من نواحي المجتمع نصيب؛ فالمرأة كإنسان تشترك في كل نتاج إنساني أو هكذا يجب أن تكون، ولن يكون تخطيط حياتها في المجتمع مفيدا إلا إذا نظرنا إلى هذا المؤتمر بعين الاهتمام، بشرط أن يضم الوسائل الكفيلة بتناول المشكلة من جميع أطرافها، فيجب مثلا أن يضم علماء النفس، وعلماء التربية والأطباء، وعلماء الاجتماع وعلماء الشريعة وغيرهم، وحينئذ نسطيع أن نقول: اننا وضعنا المنهج الأسلم لحياة المرأة، ولسوف يكون هذا التخطيط حتما في صالح المجتمع، لأن علماءه والمفكرين فيه هم الذين وضعوه))[3].

1- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل أياك نعبد وأياك نستعين، دط، ج2، تح محمد حامد الفقي،دار الكتاب العربي، بيروت، دت، ص22.

2- مالك بن نبي، شروط النهضة، م س، ص117، 118.

3- مالك بن نبي: المصدر السابق، ص18.

6- وجهة المرأة المسلمة ونهايتها: ليست الغاية من مناهج العلوم دراسة الظاهرة كما هي فقط، بل الغاية تكمن فيما ستؤول إليه هذه الظواهر وهذا هو التنبوؤ، ودارس العلوم الاجتماعية لاتهمه الظاهرة بقدر ما يهمه مستقبلها وما تؤول إليه، لذلك يتساءل مالك بن نبي: حين نرى المرأة المسلمة تسير متطورة في زيها وسلوكها إلى أي وجهة تسير؟.

يجيب مالك بن نبي: ((إننا لا نعلم حتى الآن طريقها، ولا ندرك هدفها، لأن مجتمعنا يسير مستسلما للحوادث والأيام))[1]. نعم إن هذا الكلام قاله مالك بن نبي في زمانه وما يزال حيا في زماننا، إننا نرى المرأة في تطور، ولكننا لا ندري وجهتها ولا مصيرها، لأننا لم نشرع بعد في التخطيط الدقيق لجميع أطوارها، فنحن نراها في مظاهرها الجديدة فتاة في المدرسة، ثم شابة يافعة سافرة أحيانا في الجامعة، ثم نراها في الحياة العامة عاملة في شتى الميادين، فقد اقتحمت المرأة كل ميادين العمل دون أدنى شرط أو ضوابط، فهي بناءة، وعسكرية في الجيش تماما مثل الرجل، وهي نائبة بل ورئيسة أحيرا..

إذن يجب التخطيط لحركة سير مراحل تطور الفتاة المسلمة تخطيطا دقيقا تجتمع فيه مختلف خبرات الأمة وطاقاتها، تخطيطا يركز على حضور المرأة داخل المجتمع حضورا ملموسا، حتى لا تأخذ مكانتها امرأة أخرى، فشعور شبابنا الآن كما في الماضي مازال متجها نحو بريق الحضارة الغربية، وحركة الحراقة خير دليل على ذلك، فأن ينفق الشاب أموالا طائلة ويرمي بنفسه في عباب البحر ليعبر إلى الضفة الأخرى شيء خطير جدا.. وهنا يجدر بنا أن نتساءل: من المسئول عن هذا الوضع؟ وما هو الدور الذي يجب أن نقوم به حتى نمنع هذه الظاهرة؟. إننا جميعا مسئولون. لكن من هو المسئول الأول على الشاب الحراق أو على المرأة التي تسير دون هداية؟. إن من لديه سلطة التشريع والتنفيذ هو القادر الوحيد على حل هذه القضايا يقول مالك بن نبي: ((فالقضية إذن من حيث أنها تتطلب التنفيذ هي في النهاية موقوفة على من بيده سلطة ووسائل التنفيذ، ولا شك أن مؤتمرا يحدث فيه ما يسميه الفقهاء بالإجماع هو الكفيل بهذا، فالقضية تتطلب بالضبط إجماعا لا أخصائيين، تتطلب حلا جماعيا لا وجهة نظر فرد مهما كانت قيمتها))[2]، فلم يقدم مالك بن نبي حلا مباشرا، لأن مشكلة المرأة تتجاوز الجانب الفني إلى من بيده سلطة القرار والتنفيذ، فهناك طريقين مسايرة الظروف أو تسيير الظروف، والأمة الإسلامية اتبعت الطريق الأول مسايرة الظروف، مما جعل مشكلة المرأة كما كل المشكلات الاجتماعية تنفلت من قبضتها.

غير أن مالك لم يحصر حل مشكلة المرأة في عقد المؤتمر المنتظر، بل وضع معلما أساسيا كبداية لطريق المرأة والحركة النسوية في الجزائر والعالم الإسلامي، إنه إنبات المرأة إنباتا حسنا.

7- إنْبات المرأة نباتا حسنا مَعْلَمٌ لطريق الحركة النسوية: قال الله تعالى: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ص وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاءُ ص**﴾ (آل عِمران، الآية37)، فطريق الحركة النسوية يبدأ من مشكلة (**الإنبات**)، حتى لا نغرس جذورها أينما كان وكيفما كان، فهناك أسمدة تعين على إنبات النبات الطيب، وهناك مزابل لا ينبت فيها إلا النبات العفن. يقول مالك بن نبي: ((على حركتنا النسائية أن تختار إذن لغرس جذورها،

1- نفسه، ص119.

2- المصدر السابق، ص121.

تلك التربة النقية الطاهرة التي أنبتت؛ سمية ولالا فاطمة نسومر وفضيلة سعدان))[1]، لهذا يؤكد مالك بن نبي على ضرورة إعطاء الحركة النسائية الطابع المحلي، إذ يجب أن تكون نابعة من ثقافتنا وترابنا ومطبوعة بطابعنا، لا بالطابع الذي يحاك ويصنع في الخارج، فالمرأة ليست كائنا مستقلا عن المجتمع يعيش وحده ويطرح مشكلاته على هامشه، إنها هي جوهرة الحركة الاجتماعية وأحد قطبي المجتمع لأن القطب الآخر هو الرجل وهما مكملان لبعضهما، ولا يمكن تصور المجتمع إلا بهما.

الخاتمة

في نهاية هذه المقالة المتواضعة نصل إلى النتائج التالية:

أولا: لا يمكن فصل مشكلة المرأة عن مشكلة الرجل لأنهما شقين لمسألة واحدة هي المسألة الاجتماعية والحضارية.

ثانيا: إن وجهة المرأة المسلمة عموما والجزائرية على الخصوص تبقى وجهة مجهولة مادام الخيار هو مسايرة الواقع وليس محاولة تسييره.

ثالثا: إن اختيار المرأة ومظهرها، ولباسها وسلوكها في البيت وخارجه هي عوامل تحدد حركة التاريخ وصورة الحضارة.

رابعا: إن وضع المرأة المسلمة في مثل المركز الذي وضعت فيه المرأة الغربية يزيد مشكلة المرأة تعقيدا بعد أن كانت بسيطة.

خامسا: إن مشكلة المرأة يجب أن تصفى أولا من النزعات الشاذة، النزعة التي تحرر المرأة دون قيد، والنزعة التي تقيدها دون حرية، انطلاقا من دوافع غريزية جنسية في أساسها، ثم تحل حلا يكون الاعتبار الأول فيه لمصلحة المجتمع والحضارة.

سابعا: إن إنبات المرأة نباتا حسنا هي اللبنة الأولى والأساسية للحركة النسوية.

والله أعلم.

1- مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، مصدر سابق، ص66.

قائمة المصادر والمراجع

أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج2، ط3، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.

ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، دط، ج1، تح علي حسن عبد الحميد الأثري، دار ابن الجوزي، بيروت، دت.

ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل أياك نعبد وأياك نستعين، دط، ج2، تح محمد حامد الفقي،دار الكتاب العربي، بيروت، دت.

ابن منظور: لسان العرب المحيط، دون ط، المجلد الأول من أ إلى ر، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرغشلي، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د ت.

الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دط، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، ج8، سلسلة المعاجم والفهارس، دب، دت.

مالك بن نبي: القضايا الكبرى، إعادة ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

مالك بن نبي: آفاق جزائرية، ط2، مكتبة عمار، القاهرة، 1971م.

مالك بن نبي: حديث في البناء الجديد، دط، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، دت.

مالك بن نبي: شروط النهضة، دط، دار الفكر، دمشق، 2009م.

مالك بن نبي: في مهب المعركة، إعادة تصوير ط3 (1981م)، دار الفكر، دمشق، 2002م.

مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، إعادة ط2، دار الفكر، دمشق، 2001م.

مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، دط، وزارة التربية والتعليم بمصر، القاهرة، 1994م.

محمد علي الفاروقي التهانوي: كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، ط1، تح علي دحروج، ج1 من أ إلى ش، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.

محمود يعقوبي: معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، ط2، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، 1998م.

مصلح الصالح: الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي عربي، ط1، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1999م.

مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دط، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.

عبد الحليم عويس: التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، كتاب الأمة، العدد 50 ذو القعدة 1416 هـ السنة الخامسة عشر، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1996م.